

مقاربة مفاهيمية لظاهرة الإرهاب عبر الدول بين المنطق الجهادي والإرهابي

أ. ليندة عكروم
جامعة باتنة

الملخص:

من بين التهديدات الأمنية التي عرفت العلاقات الدولية اليوم ظاهرة الإرهاب عبر الدولي كالتنظيمات الإرهابية الجديدة (تنظيم داعش)، فهي ظاهرة متجددة ومتجددة، كما أنها تتراوح بين مفهومين بل وجدلين أساسيين:

الاتجاه الأول: يرى أنها تنظيمات إسلامية تستمد عقيدتها وفكرها من الرسالة الإسلامية الجهادية، لكن هناك من يرفض هذا بحجة التطرف الديني.

الاتجاه الثاني: يرى بأنها تنظيمات إرهابية بالنظر لأفعالها الإرهابية من قتل وتدمير، فهي مرفوضة في المجتمع الدولي وحتى القانون الدولي على اختلاف مسمياتها.

Abstract :

Among the new "security threats" to international relations today The phenomenon of the new organisations such as the organization ISIS Daash.

This phenomenon is rooted and renewable in international relations it's also ranging between two essential controversies:

First trend :

Trend which sees that it as an Islamic trends derived their faith and ideology from the Islamic jihadist message but there are those who reject this trend under the pretext of religious extremism

Second trend :

Trend that sees it as a terrorist organizations in view of the terrorist deeds of killing and destruction, because it's unacceptable in the international community on the different denominations.

مقدمة:

أصبح عالم اليوم أقل ما يمكن أن يتصف به هو هشاشة الوضع الأمني الذي أحدث الخلل في المعادلة الأمنية من تهديدات محددة المعالم والمصادر، تتحدد على أساسها الترتيبات الأمنية بل قد تتجح في إدارتها بل في إنهاؤها، إلى ظهور تهديدات أمنية جديدة لفواعل هي الأخرى جديدة قد نهج مصدرها بل وخلفيتها وكيفية إدارتها، مما يربك رفضها على قبولها، فما بالك في بحث إستراتيجية مواجهتها.

إن ما عرفته العلاقات الدولية من تهديدات أمنية جديدة على رأسها الإرهاب عبر الدولي، الذي وجد الأرضية الخصبة في التحولات الأمنية الجديدة، ليتغذى بما يمكن أن تخفيه في مكائنها وأبعادها الأمنية من ترتيبات لخلق وبناء بل تطوير وتجديد مثل هذه التهديدات الجديدة، فبغض النظر عن كونها مفتعلة أم حقيقية مصطنعة أم طبيعية فظاهرة الإرهاب عبر الدولي أصبحت ظاهرة متجددة ومتجددة، ففي ظل التنامي المتزايد لظاهرة الإرهاب عبر الدولي الذي يظهر بشكل واضح منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في شكل تنظيمات منها تنظيم القاعدة وتنظيم داعش والذي يطلق على نفسه "تنظيم الدولة الإسلامية" وغيرها، إذ أن ما تمارسه هذه التنظيمات من أعمال إرهابية عبر مختلف أنحاء العالم بداية بتفجير برجى التجارة العالميين في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 11-09-2001 والتي تبناها تنظيم القاعدة، وصولاً لهجمات باريس يوم 13-11-2015 والتي تبناها "تنظيم الدولة الإسلامية" يطرح مشكل في إيجاد مقاربة معرفية لفهم هذه الظاهرة الجديدة هل هي فعلاً تستجيب للمنطق الجهادي الذي جاء به الإسلام من حيث جوهر الرسالة المرغوبة، وبين ما إذا كانت طبيعة ما تفرزه أفعال وردود أفعال هذه التنظيمات الإرهابية/الإسلامية الجديدة على أرض الواقع أقل ما يمكن أن نصفها به "بالفعل الإرهابي" هذا من حيث طبيعة الفعل المرفوض. بين هذا وذاك نطرح الإشكالية التالية:

ما طبيعة وخصوصية ظاهرة الإرهاب عبر الدولية كمقاربة مفاهيمية بين ما استجد وتجدد من تنظيمات توصف بالجهادية والإرهابية بين قبول طموح الرسالة الجهادية الإسلامية أم التطرف الديني وبين رفض الفعل الإرهابي؟

تم تقسيم الموضوع إلى أربعة عناصر:

- 1- مقارنة معرفية مفاهيمية للإرهاب وما ارتبط به.
 - 2- مفهوم ظاهرة الإرهاب عبر الدولي حسب المنطق الجهادي.
 - 3- مفهوم ظاهرة الإرهاب عبر الدولي حسب المنطق الإرهابي.
 - 4- إشكاليات ظاهرة الإرهاب عبر الدولي بين القبول والرفض.
- 1- مقارنة معرفية مفاهيمية للإرهاب وما ارتبط به:

إن ظاهرة الإرهاب كظاهرة ليست بالجديدة في العلاقات الدولية لما حظيت من دراسات وبحوث واهتمام من طرف جميع فواعل العلاقات الدولية بمختلف مؤسساتها وتوجهاتها، لذلك فهي ظاهرة متجذرة لها أصولها عبر مختلف المحطات التاريخية، كما أنها متجددة بالنظر لحجم التهديد الذي أصبح ينتج من يتصف بالإرهابي، وللصيغ الجديدة التي يبرز بها. لذلك فظاهرة الإرهاب ترتبط بغياب مفهوم الأمن الذي سنخرج عن مفهومه قبل التدقيق في مفهوم الإرهاب وما ارتبط به. إذ يعد (الأمن نقيض الخوف وعليه فإن كل ما يدخل الخوف في النفوس يعد من منقصات الأمن والطمأنينة والاستقرار)¹.

من المتفق عليه أن الإرهاب هو ظاهرة اجتماعية، قد تتداخل وتتشابه مع ظواهر اجتماعية من المنظور الأمني لذلك ارتأينا قبل البت في تحديد تعريفه لآبد من التعرف على النقاط التي يشترك فيها مع بعض المصطلحات التي تتداخل معه (كالعنف، التطرف الديني، حركات التحرر، الجريمة المنظمة).

1-1 الفرق بين الإرهاب والعنف:

العنف كظاهرة اجتماعية ينطوي على إكراه مادي أو معنوي يقع على الشخص أو الجماعة مما يلحق الضرر بالآخرين، وينفرد العنف بخصائص عن خصائص الإرهاب وهي كالتالي²:

- يتسم العنف بالتلقائية في حين يتسم الإرهاب بالتدبير والإعداد المسبق.
- درجة بشاعة ودموية العنف أقل في آلياتها التنفيذية عنها في الإرهاب.
- عدم اتسام العنف بالصبغة الدولية في حين الإرهاب يصطبغ بذلك.
- العنف دائما وغالبا ما يكون وراءه شخص واحد في حين يتسم الإرهاب بالعمل الجماعي المنظم والمخطط إكاما وتنظيما.

- عشوائية العنف وعدم التخطيط المسبق يقابلها في الإرهاب التخطيط المسبق المتضمن في ثنايا توصيفه وتخطيطه وتنفيذه كثيرا من التعقيدات التي يصعب على الشخص العادي اكتشافها أو قراءتها.

- أسباب العنف ودوافعه غالبا ما تكون شخصية، بعكس الإرهاب الذي يتولد دائما عن قيم وإيديولوجيات وفلسفات محددة.

- سهولة السيطرة على العنف في حين يصعب القضاء على الإرهاب إلا في المدى الطويل ومن خلال استراتيجية وتنظيم محكمين.

من خلال ماسبق يمكن القول أن الإيديولوجية الفكرية والعقائدية التي يتسم بها الإرهاب ولا وجود لها في العنف الذي يتميز بالعشوائية والتلقائية، كما أن درجة التخريب والدموية للإرهاب التي تفوق بكثير ما ينتجه العنف من أضرار أو نتائج.

1-2 الفرق بين الإرهاب والتطرف الديني:

التطرف لغة هو اتخاذ مكان بعيدا عن مركز أو قلب الشيء ومعناه التفرد في المذهب أو السلوك وعدم الاختلاط بالآخرين. كما تتمثل ظاهرة التطرف الديني اجتماعيا في اعتناق مجموعة من الأفراد لعقيدة دينية محددة ترى أنها الصواب بعينه وأن ماعداها هو الخطأ. وما يستتبعه ذلك من قيام هذه المجموعة المتطرفة من تفسير عقيدتهم تلك بطريقة خاطئة تبعد عن اللب أو الجوهر ثم الترويج لذلك الفكر المتطرف ونشره حتى لو اقتضى الأمر استخدام القوة³.

فالفرق بين التطرف الديني والإرهاب من خلال النقاط التالية⁴:

- يعد التطرف الديني هو الخطوة السابقة مباشرة على الإرهاب.

- عدم استعداد المتطرف للتضحية من أجل فكرة التطرف في حين أن الإرهابي على استعداد لذلك.

وعلى ذلك يمكن القول أن التطرف الديني هو ظاهرة اجتماعية تتحرك من دوافع نفسية وفكرية تمس أمر فكري أو عقائدي أو مذهبي، فهو من ثم نوع من الانحراف الفكري في مجال العقيدة وينطوي على سلوك معيب في التفكير وغرور في المنطق يدفع صاحبه نحو اطلاعات خاطئة وفرديات مضللة.

1-3 الفرق بين الإرهاب وحركات التحرر:

تقوم وسائل الإعلام الغربية بالخلط والتشويه المتعمدين بين الإرهاب وحركات التحرر لإضفاء عدم شرعية هذه الأخيرة. إلا أن استعمال القوة من قبل حركات التحرر ضد الأنظمة الاستعمارية أو الاستبدادية والعنصرية وضد أشكال السيطرة الأجنبية، هو حق مشروع لا علاقة له بمسألة الإرهاب ما دام سلوك المقاتلين من الطرفين تحكمه الاتفاقيات الدولية، ويحدث الخلط إذا ما استعملت القوة من قبل أفراد منتمين إلى حركات التحرر الوطني أو يعملون باسمها ضد أهداف مدنية خارج أراضي الدولة العدوّة.

وهناك اتجاهان رئيسيان في مسألة الإرهاب وحركة التحرر الوطني:

اتجاه يرى ضرورة التمييز بين أنشطة تمارسها حركات سياسية ثورية تحاول تحقيق مصير شعوبها واستقلالها وبين الإرهاب، فالعنف الذي تمارسه هذه الحركات مسوغ في حين أن عنف الإرهاب يهدد أرواح الأبرياء ويهدد بالخطر علاقات التعاون والصدقة بين الدول. وهذا هو رأي أغلب فقهاء القانون الدولي.

● اتجاه لا يميز بين تلك الأنشطة والأفعال السابقة، ويعدها جميعا من قبيل الأعمال الإرهابية، وهذا هو الموقف في الغرب، وأن سبب الاختلاف بين الاتجاهين يرجع إلى سبب الاختلاف في المواقف حول حركات التحرر نفسها. فالمؤيدون يرون أنها حركات ثورية مشروعة ولو استخدم العنف القوة من قبيل الإرهاب وينبغي محاربتها والوقوف ضدها. وما زال الخلاف حول شرعية الكفاح المسلح في سبيل الحرية والاستقلال وشرعية العنف الذي يستخدمه محتدما بين الكتلة الغربية من جهة ودول العالم الثالث من جهة أخرى⁵.

1-4 الفرق بين الإرهاب والجريمة المنظمة:

تتشترك أعمال الإرهاب مع الجريمة المنظمة بميزتين السرية والتنظيم يبقى معيار تحقيق الأهداف السياسية مميزا بينها ويختص به الإرهاب دون الجريمة المنظمة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ المجموعات التي تمتن الجريمة المنظمة قد تقوم بتنفيذ الأعمال الإرهابية وهي في غالب الأحيان على صلات وثيقة بالمجموعات الإرهابية على الساحة الدولية⁶.

الإرهاب غير الدولي له مدلولات ومفاهيم متعددة فهو يعرف دوليا بأنه الإرهاب الذي تنتج عن ممارسته ردود فعل وأصداء دولية قد يتسع

تأثيرها أو يضيق بحسب الأحوال، والإرهاب الدولي غالبا ما يصطبغ بالصبغة السياسية، كما أن الجماعات التي تمارسه هي جماعات غير رسمية ومن أمثلة الجماعات والتنظيمات الإرهابية التي برزت على المسرح الدولي في أواسط الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، منظمة بدرماينهوف الألمانية والألوية الحمراء الإيطالية، والجيش الأحمر اليابانية ومنظمة توبا ماروس في الأرغواي ومنظمة الجيش الثوري الشعبي في الأرجنتين وفي ثلاثينات القرن العشرين أيضا منظمات صهيونية مثل منظمة الارجون ومنظمة الهاجانا وغيرها ولا يبدو حسب ما يشير التاريخ والواقع أن ظاهرة الإرهاب الدولي عارضة أو أنها بصدد الاختفاء عن مسرح الحياة السياسية الدولية بل هناك من الأسباب التي تعمل في اتجاه استمرارها وتفاقمها على نحو أخطر، ومن الأسباب الهامة التي تجعل الإرهاب في تصاعد⁷.

إن الإرهاب **Terrorisme** الذي أصبح حديث الساعة، وحديث القانونيين والسياسة، ينبغي تعريفه بتعريف مستقى من نبعه الأصلي ومقتظفا من منبته الغربي فمصطلح الإرهاب ظهر في 1798 في ملحق الأكاديمية الفرنسية لوصف حكومة الثورة الفرنسية التي كانت ترهب الشعب، وبخاصة الملكيين باسم الحرية والثورة فكان الإرهاب وصفا لنظام حكم، إلا أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أصبح المصطلح يتعلق بعنف صادر عن أفراد أو جماعات خارج القانون.

فأول عملية وصفت بالإرهابية في العصور الحديثة كانت محاولة اغتيال نابليون بونابرت 1800م. ليعرف دوليا أول مرة من طرف عصابة الأمم سنة 1937 بأنه: عمل إجرامي يهدف بطبيعته إلى إثارة الرعب والخوف، موجه لأشخاص معينين، أو مجموعة من الأشخاص أو للعموم⁸.

من المتفق عليه دوليا أن الإرهاب أصبح ظاهرة مستفحلة في العلاقات الدولية خاصة الراهنة وبالتالي وجب القضاء عليه ومسبباته، إلا أنه من المختلف عليه إيجاد تعريف جامع لما يعد من الأعمال الإرهابية وما لا يعد كذلك، فحتى هيئة الأمم المتحدة كونها هي المنظمة العالمية المنوط بها الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين واستقرار وحدات المجتمع الدولي حسبما جاء في ميثاقها الأساسي وتعاقدت عليه الدول،... وحتى الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تصدر حتى اليوم مشروعا لقمع الإرهاب ومكافحته... وسبب ذلك أن هناك خلافا بين آراء ومواقف الدول فيما يدخل وما لا يدخل ضمن الأعمال الإرهابية، فهناك من يرى من أعضاء الأمم المتحدة أن أعمال المقاومة والكفاح ضد المستعمر أو المحتل من جانب الشعوب المغلوبة، في

سبيل التحرر وتقرير المصير يعد إرهاباً يجب القضاء عليه ومواجهته، على عكس دول أخرى، وكان من نتيجة هذا الخلاف أن بقي الإرهاب يزداد خطورة واتساعاً ويوظف من قبل بعض الدول لتحقيق مصالحها وتبرير سلوكياتها⁹.

العناصر المميزة للإرهاب، إن معظم التعاريف المقترحة للإرهاب تتقاطع في عناصر ثلاث:

- استخدام غير مشروع للعنف أو التهديد به، ضد مدنيين أبرياء يشكلون ضحية واسطوية.

- إشاعة جو من الرعب والخوف العارم لدى الجهة المستهدفة، وهي في الغالب غير تلك التي كانت محلاً للأعمال العنيفة.

- استغلال هذا الجو من الخوف والرعب للضغط على الجهة المستهدفة بقصد الحصول منها على مطالب وأهداف سياسية أو إيديولوجية أو دينية أو اثنية.

بعد تعرضنا لمختلف المفاهيم المرتبطة والمتداخلة مع الإرهاب، وإلى خصائصها جاء دور خصائص الإرهاب كظاهرة محل الدراسة.

ويمكن إدراج خصائص الإرهاب فيما يلي¹⁰ :

- العمل الإرهابي يتميز باتباع المنهج العلمي سواء في التخطيط والتنظيم أو سواء في التنفيذ.

- الهدف الذي يسعى إليه الإرهاب دائماً وعلى المدى الطويل هو إحداث الفوضى الأمنية أو الارتباك الأمني حتى ولو لم يتضح ذلك على المدى القصير.

- اتسام العمل الإرهابي بالسرعة والفجائية والدموية بالإضافة إلى الرعب والذعر الذي ينتاب ضحاياه يجعل من الصعوبة ضبط الجناة أو ملاحقتهم أو حتى التعرف عليهم.

- السعي الدائم للإرهاب في سبيل إجهاض الإستراتيجية الأمنية التي تواجهه، وذلك عن طريق الإعلان القوي عن نفسه مستخدماً في ذلك أقوى أدواته دموية ووحشية.

- إتباع الإرهاب في التجنيد لعناصره وكوادره البشرية لأسلوب الخلايا العنقودية التي تنفصل عن بعضها البعض، فلا يترتب اكتشاف أحدها وقوع سائر الخلايا الأخرى، الذي يمكنه في النهاية من الانفلات من الرقابة الأمنية والتتبع الأمني المستمر لخلاياه وتنظيماته مهما كانت دقتها وفعاليتها.

- العمل الإرهابي إما أن يكون ذو طابع إقليمي فلا يتعدى حدود الدولة تماما.

كما حدث بالنسبة لبعض الدول كالجزائر إذ أمضت عشرية سوداء لما ترتب عن واقع الإرهاب في حينها، وإما أن يكون ذو طابع دولي يتعدى حدود الدولة تنظيما وإعدادا وتمويلا وتنفيذا، كما هو الحال بالنسبة للتنظيمات الإرهابية المنتشرة على الساحة الدولية والتي بلغ عدده سنة 2007 حوالي 128 منظمة إرهابية تعمل في 47 دولة مقسمة على مناطق العالم المختلفة.

2- ظاهرة الإرهاب عبر الدولي حسب المنطق الجهادي:

إن ظاهرة الإرهاب عبر الدولي التي تظهر في إطار التنظيمات الإرهابية الجديدة التي عرفها العالم منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر من سنة ألفين وواحد ليوما هذا تبرر كل ما تقوم به من أعمال إرهابية بأنها تعتبر جهاد إسلامي مشروع لكن في حقيقة الأمر هذا ما سيقودنا لبحث حقيقة الجهاد الإسلامي، إذ نفترض أن ما تدعيه مختلف التنظيمات الإرهابية بالنظر للفعل الإرهابي الناتج على أرض الواقع وما يثيره من خوف ورعب ودمار هو في الحقيقة من دواعي الفهم الخاطئ في تفسير أصول الشريعة الإسلامية. وهذا ما سنحاول بحثه من أجل مقارنة معرفية لفهم ظاهرة الإرهاب عبر الدولي وفق المنطق الجهادي.

ففي أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين اكتسبت كلمة الجهاد المزيد من الانتشار، إذ تستخدم من قبل حرمات المقاومة والتحرير والحركات الإرهابية كذلك لإضفاء الشرعية على قضيتهم وتحفيز أنصارهم، وقد شن المجاهدون الأفغان، طالبان والتحالف الشمالي الجهاد ضد القوى الأجنبية وفيما بين أنفسهم، كما أن المسلمين في كشمير والشيشان وداغستان وجنوب الفلبين والبوسنة وكوسوفو خاضوا نضالهم باعتبار أنه يمثل شكلا من أشكال الجهاد. كما أن حزب الله وحماس ومنظمة الجهاد الفلسطينية وصفوا الحرب مع إسرائيل على أنها جهاد، كما أن الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر انغمست في الجهاد الذي اتخذ شكلا إرهابيا ضد الحكومة، كما شن أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة الجهاد العالمي

ضد الحكومات المسلمة والغرب¹¹، هذا بالنسبة لما جاء وساد على أرض الواقع لكن ماذا عن حقيقة الجهاد الإسلامي؟.

الجهاد الإسلامي هو بذل الجهد نصره للحق ودفعاً للظلم وإقراراً للعدل والسلام والأمن في كل ميادين الحياة. والقتال الذي شرعه الإسلام لا يجوز اللجوء إليه إلا لضرورة استثنائية، وفي حالتين اثنتين¹² :

- الدفاع عن الوطن ضد احتلال الأرض ونهب الثروات، وضد الاستعمار الاستيطاني الذي يخرج المسلمين من ديارهم، وضد الذين يظهرون ويساعدون على الإخراج من الديار، وضد الذين ينقضون عهودهم.

- دفع فتنة المسلمين في دينهم، وإجبارهم على تغيير عقيدتهم أو سلب حريتهم في الدعوة السلمية إلى الإسلام، لما جاء في القرآن الكريم: " لا ينهاك الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاك الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون"¹³.

وحتى عندما يضطر المسلمون إلى القتال ودفاعاً عن أوطانهم وحماية لحريتهم في الاعتقاد، فإن للإسلام آداباً وأحكاماً واضحة تحرم قتل غير المقاتلين، كما تحرم قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال، وتحرم عليهم كذلك تتبع الفارين، أو قتل المستسلمين، أو إيذاء الأسرى، أو التمثيل بجثث القتلى، أو تدمير المنشآت والمواقع والمباني التي لا علاقة لها بالقتال¹⁴.

ولا يستخدم القتال في الإسلام أو العنف إلا لرفع ظلم أو لإلحاق حق، أو إذا وقف الأعداء والخصوم حجر عثرة في طريق حرية الدعوة، أو حاولوا منع أمة المؤمنين من تأدية شعائرها، أو من أن توفر المناخ اللازم لعزتها وكرامتها. في مثل هذه الحالات يصبح استخدام القوة ضرورة، وتكون القوة لردع عدوان، أو إزالة عقبة، فإذا ما تحقق ذلك، وأزيل شر الأعداء وأذاهم، لا يكون هناك مبرر لاستخدام القوة¹⁵، هذا ما أرشدت إليه الآية الكريمة التي جاء فيها: "فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين"¹⁶.

علاقات السلام وعدم استخدام العنف تكون مع من لم يبدؤوا بقتال ضد المسلمين، لا بل من واجب المسلمين في هذه الحالة أن يقيموا مع أمثال هؤلاء علاقات عمادها العدل والقسط. وهذا ما جاء في الكثير من الآيات القرآنية.

بعدها تعرضنا في المحور الأول لمقاربة مفاهيمية اقترنا من مفهوم الإرهاب بين ما ارتبط واختلف معه يمكن إدراج التنظيمات الإرهابية الجديدة، كتنظيم داعش أو تنظيم الدولة الإسلامية الذي ظهر في بعض المناطق العربية كالعراق وسوريا وليبيا وغيرها من المناطق، في إطار ما يعرف بالإرهاب الديني، فلو نظرنا في كرونولوجيا تطور هذه الظاهرة خلال العصر الحديث.

يمكن حصر ظاهرة الإرهاب الديني في ثلاث موجات أساسية¹⁷:

الموجة الأولى/ موجة الإرهاب اليهودي: ابتدأت المرحلة الأولى من موجة الإرهاب اليهودي مع مطلع القرن العشرين، وتميزت بالجرائم التي كانت تمارسها مختلف الجماعات اليهودية، وقد امتدت إلى قيام دولة إسرائيل عام 1948، وبعدها انطلقت مرحلة إرهاب الدولة اليهودية.

الموجة الثانية/ موجة الإرهاب المسيحي: امتدت المرحلة الأولى بين عامي 1978 و1997، حيث نفذت طوائف اليمين المسيحي سلسلة من الانتحارات الجماعية، هذا فضلا عن الاعتداءات الجسدية التي كان يتعرض لها العديد من المناضلين الحقوقيين، من قبيل أنصار الحق في الإجهاض، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي انتقل فيها الإرهاب المسيحي من مرحلة الطوائف إلى مرحلة الدولة، وانطلقت مع وصول الرئيس الإنجيلي جورج والكر بوش إلى السلطة في أمريكا عام 2000.

الموجة الثالثة/موجة الإرهاب الإسلامي: انطلقت المرحلة الأولى لهذه الموجة في أجواء انتصار الثورة الإيرانية عام 1979 وتميزت هذه المرحلة بقدرة المخابرات الإيرانية على تنفيذ عدد من الاغتيالات لشخصيات معارضة داخل العمق الأوروبي، في حين أن المرحلة الثانية من الإرهاب الإسلامي انطلقت مع صعود تنظيم القاعدة، وتتميز هذه المرحلة بانتشار ظاهرة الإرهاب الانتحاري. وصولا لتنظيم داعش من خلال مختلف الأعمال الإرهابية التي أعلن مسؤوليته عنها.

إن ما يميز الموجة الإسلامية عن الموجة اليهودية والمسيحية ما يلي، فإذا كان لكل موجة من الموجات مرحلتان حاسمتان، فيبدو واضحا أن الموجة اليهودية مرت من مرحلة إرهاب الجماعات إلى مرحلة إرهاب الدولة عقب إعلان تأسيسها، وكذلك نجد أن الموجة المسيحية مرت بمرحلة تتسم بنوع من إرهاب الجماعات والطوائف الانتحارية إلى نوع من إرهاب الدولة عقب وصول الرئيس الإنجيلي بوش إلى السلطة، في حين أن ما حصل في تجربة الإرهاب الإسلامي هو العكس تماما، حيث انتقل ذلك الإرهاب من مرحلة تتسم بإرهاب الدولة في عهد الخميني إلى مرحلة تتسم بإرهاب

الطوائف والجماعات، وهي التي يعبر عنها تنظيم القاعدة، الذي هو في الأصل انشقاق عن مؤسسة دينية وهابية كانت في مرحلة الدولة، وهذا ما يزيد من تأكيد أن الخصوصية التي تميز الإرهاب الإسلامي عن الإرهاب المسيحي أو اليهودي تكمن في أن مرحلة إرهاب الدولة داخل الموجة الإسلامية سابقة عن مرحلة إرهاب الطوائف والجماعات. وصولاً في يومنا هذا لتنظيم داعش الذي انطلق من العراق فسوريا فباقي دول العالم إذ وصلت أعماله الإرهابية إلى أكثر من دولة كان آخرها هجمات باريس يوم 13-11-2015.

ليس من التدين أن يتطرف المرء ويطلق العنان لهواه، أو لهوى أمير جماعته، كما أن التطرف يعطي صورة منفرة عن الإسلام ولا تتناسب مع سماحته، لا بل تسيء أيما إساءة حتى صح أن نعد ظواهر التطرف التي تبرز بين حين وآخر إشكالية تهدد الأمة، وتحول هؤلاء المتطرفين من خلال أساليبهم الإرهابية إلى أدوات بيد الأعداء، يعملون غير عابئين بقيم ولا ضوابط .

وقد أعطى الداعية الشيخ محمد الغزالي صورتين لمخاطر حالات التطرف التي يعتمدها بعض الناس متسترين بالدين فقال: "المصيبة أن بعض المتحدثين في الإسلام لديهم مقدار هائل من قصر النظر وقلة الوعي، والأدهى أن يتحول هذا الفكر السقيم إلى مبدأ تُولف فيه كتب وتنتهي عليه مواقف" ويضيف في مقام آخر "إن هذه العقليات أنزل رتبة من تؤمن على مستقبل شركة مساهمة، فكيف يُتاح لها التحدث عن دين كبير ورسالة أورتت الإنسانية أرقى حضاراتها"¹⁸.

لكن ظاهرة التطرف الديني مرة أخرى لا تقتصر على التطرف الإسلامي فقط، لذلك في تحليل ظاهرة التطرف يمكن حصرها في ثلاث أقليات متطرفة.

- الإسلاميون الأصوليون الذين يجسدهم تنظيم القاعدة وتنظيم داعش.
- المسيحيون اليمينيون في تحالفهم مع المحافظين الجدد.
- الصهيونيون المتشددون في إسرائيل.

يحاول هؤلاء فرض رؤاهم المتطرفة بشكل يعرض استقرار العالم للخطر، مما قد ينجم عنه طمس التيارات المعتدلة في مجتمعاتهم لذا يصبح من المهم عدم السماح لهذه الأقليات والمجموعات بأن يكون لها نفوذ وتأثير يطغى على المجرى الرئيسي المعتدل في مجتمعاتهم، وأن ترسم

اتجاه السياسة الدولية، ولأن كلا من هذه المجموعات تغذي الأخرى لذلك فإنه يجب عدم التركيز على إحداها وإنما يجب أيضا إدانة المجتمعات الأخرى في نفس الوقت، فالإكتفاء بالتعامل وإقصاء إحداها وليس الآخرين لن يمثل خيارا للمستقبل¹⁹.

3- التنظيمات الإرهابية الجديدة حسب المنطق الإرهابي:

يمكن اعتبار التنظيمات الجديدة على أنها تنظيمات إرهابية، وهذا ما يفرض علينا تتبع الظاهرة عبر أهم محطاتها التاريخية وعبر مختلف أشكالها وصورها لملاحظة طبيعة الفعل هل فعلا يتسم بالإرهاب أم على العكس هو إحقاق للحق.

فلو نتحدث عن إرهاب الدولة أو عن تاريخ إرهاب الحركات الانفصالية أو عن تاريخ الإرهاب الديني... إلخ، فالحديث عن إرهاب الدولة في عهد روبسيير سيقودنا إلى الحديث عن دولة بسمارك، ثم عن الأنظمة الكليانية مع هتلر وستالين، مروراً بالثورة الثقافية في الصين، وتجربة الخمير الحمر في كمبوديا، أما الحديث عن إرهاب الحركات الفوضوية في أوروبا خلال أواخر القرن التاسع عشر، فمن شأنه أن يقودنا إلى الحديث عن تلك الحركات في روسيا وعن دورها في التمهيد لقيام الثورة البلشفية، وكذلك عما فعلته في إيطاليا الألوية الحمراء. كما أن الحديث عن الإرهاب الديني قد يعود بنا إلى العصر الروماني وحقبة الإرهاب اليهودي مروراً بالحشاشين في بلاد الشام، ثم إرهاب الجماعات المرتبط بالكنيسة خلال العصور الوسطى، وصولاً إلى الحركات الصهيونية، ثم الطوائف الانتحارية المسيحية، وأخيراً تنظيم القاعدة²⁰ بالإضافة لتنظيم داعش أو ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية.

ولظاهرة الإرهاب الدولي في مواقف وتصرفات الدول أثر سيء يتمثل في تطبيق سياسة الكيل بمكيالين أو الأخذ بمعياريين أو سياسة اللغة المزدوجة أو المعايير المزدوجة في تكيف التعامل مع الظاهرة الإرهابية، وهذا أمر واضح للعيان لا يحتاج لأي تفصيل أو بيان، إذ من المعلوم أن مواقف الدول والأشخاص وكذلك رد الفعل الممكن صدوره منهم قد يختلف لدى البعض عنه لدى البعض الآخر، وهذا أمر متصور ومتوقع لأن تقييم أو تقدير شيء ما يختلف من شخص لآخر أو من دولة لأخرى باعتبار أن ذلك يدخل في طبيعة الأشياء غير أنه من الملاحظ _ في أحوال كثيرة _ صدور هذه المواقف استناداً إلى اعتبارات شخصية بحتة تستوحي أساساً من إيديولوجيات واتجاهات ذات طبيعة سياسية تجعل من المنطق والقانون في المقام الثاني.

وإذا كان على الدول ألا تلجأ إلى القياس بمعياريين، أو بمكيالين في إطار الإرهاب الدولي، فإن استقراء الواقع الدولي الحالي يذهب إلى عكس ذلك تماما، فهناك بعض الدول تعتبر الإرهابيين مجرمين في بعض الحالات بينما في حالات أخرى تعتبرهم أبطالاً وهناك بعض الدول تؤيد دولا بعينها ترتكب أفعالا إرهابية فاضحة، وتذهب حتى إلى حد إضفاء الشرعية على هذه الأفعال ولاشك أن ذلك أمر غير سليم ذلك أنه لا يمكن استنادا إلى معايير شخصية ترجع أساسا إلى بعض الضغوط أو بعض العوامل السياسية المتغيرة_ أن نصل إلى القضاء على ظاهرة الإرهاب²¹.

وللدلالة على ما يعيش هؤلاء الإرهابيون من ضياع وتشتت في الفكر والعقيدة فقد رفعوا شعارات غير متناسقة ولا تحمل في طياتها أي نضج ديني أو سياسي أو اجتماعي بدليل أنهم تارة كانوا يحاربون الغرب لأنه مسيحي كافر وتارة لأنه يعادي المسلمين ويستأثر بمصالحهم. وتارة كانوا يرفعون شعارات تدعو إلى تطهير العالم الإسلامي من الأجانب وتارة يميزون ما بين غربي من أهل الكتاب وما بين غربي ملحد.

وهذه التصنيفات طالت أيضا الدول العربية والإسلامية علما أن هذه القوى الإرهابية التي تنتشر بالإسلام جل ما فعلته أنها خطت لتقتحم بواسطة الطائرات المدنية برجى التجارة العالمية في نيويورك فقتلت آلاف الأبرياء من ثم عمدت إلى تفجير مساكن أهلة ومجمع المحيا في الرياض وحي شعبي في تركيا وحتى مليء بالمطاعم في إحدى مدن المملكة المغربية وقطارات مليئة بالمواطنين في اسبانيا وفندق الماريوت في ماليزيا وخطف السياح على يد جماعة أبو سيف في الفلبين وفي اليمن²². وأحداث عين أميناس بالجزائر وما يحدث من أعمال إرهابية في ليبيا وفي العراق وسوريا، وما حدث من تفجيرات إرهابية في تونس ولبنان وفرنسا سنة 2015.

بالرغم مما أبداه المجتمع الدولي بما فيه المجتمعات العربية والإسلامية من إدانة كاملة للإرهاب، خصوصا منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، فضلا عن الجهود المشتركة اللاحقة وضرب شبكاته، إلا أن قوى الإرهاب لا تزال تضرب في أماكن متعددة. وعلى الرغم من الضربات التي تعرض لها نظام طالبان في أفغانستان وتنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، ووقعت هجمات إرهابية بعد أحداث سبتمبر في اندونيسيا والمغرب والسعودية وتركيا، وروسيا ومدريد ولندن وشرم الشيخ والعراق وسوريا وليبيا... الخ، فهناك من حذروا من أن الغزو الأمريكي للعراق يمكن أن يذكر بالغزو السوفياتي لأفغانستان من حيث خلقه لجبل من الإرهابيين بل ويتوقع

البعض أن تشهد دول المنطقة ظاهرة العائدون من العراق على غرار العائدون من أفغانستان²³.

من خلال ما سبق يمكن حصر تفسيرات مصادر الإرهاب في ثلاث اتجاهات أساسية.

الاتجاه الأول: نشأ داخل القطاعات اليمينية في الفكر الأمريكي، وتتنظر لأولئك الذين نفذوا عمليات 11 سبتمبر 2001 بصفتهم نتاج مجتمعات يسودها الإحباط والغضب نتيجة للأوضاع السياسية التي تعيشها هذه البلدان، والتي تتمثل في القهر السياسي وغياب الديمقراطية والمشاركة السياسية وفضلا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة كالفقر والبطالة وانتشار الفساد. كذلك الثقافة السائدة التي تشجع على التعصب والشك في الآخر وتنقل غضبها وإحباطها إلى مناطق ومجتمعات أخرى، لذلك ترى هذه المدرسة أن التعامل مع هذه الأوضاع هو خلق البيئة الصحية التي تنتشئ أجيالا لا تستجيب لدعاوى التطرف، وتترى على التسامح واحترام الآخر.

لكن هناك من ينتقد هذا الاتجاه الذي يرى أن أصول الإرهاب في أوضاع الفقر والبطالة وغياب المشاركة السياسية، فإن فحص التاريخ الاجتماعي والعائلي للكثير من العناصر الإرهابية، يلاحظ أنها جاءت من أصول اجتماعية ميسورة ومتعلمة، بل إن بعضها كما دلت أحداث لندن قد تربت ونشأت في بيئة مزدهرة لا تعرف القهر السياسي.

الاتجاه الثاني: يركز على العوامل الخارجية وعلى سياسات الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا قضايا الشرق الأوسط التي أصبحت تعاني من إحتلالين الإحتلال الأمريكي للعراق والإحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية الأمر الذي خلق شعورا قويا بالمهانة والعجز. ويرى هذا الاتجاه أن قوى التطرف تتغذى على هذه الأوضاع وأن إحتلال العراق وتداعياته قد جعل منه قوة جذب لقوى التطرف والإرهاب.

لكن هذا الاتجاه ينتقد فكرة أن دوافع الإرهاب تعود للأوضاع في فلسطين والعراق، بأن أحداث 11 سبتمبر وقعت قبل غزو العراق، فضلا عن أن العمليات المقاومة لا توجه إلى الأهداف العسكرية الإسرائيلية أو الأمريكية.

الاتجاه الثالث: هذا الاتجاه لا يقتنع بتفسيرات الاتجاهين السابقين، ويرى فيهما اختزالا وتبسيطا لظاهرة الإرهاب، كما يذهب إلى أنه حتى ولو انتهى إحتلال العراق وتم التوصل إلى تسوية للقضية الفلسطينية فسوف يظل للإرهاب أهدافه والفكر الذي يقف وراءه. وبناء على هذا التحليل فهذا

الاتجاه يشدد على الجانب الفكري والثقافي والعقائدي لدى الجماعات الإرهابية ورؤيتها للمجتمع وللعالم، وهي رؤية ترى المجتمعات العربية والإسلامية كافرة ومرتدة وتحيا حياة الجاهلية، وهو الفكر الذي بثته كتابات أبي الأعلى المودودي في الهند، وأبي الحسن الندوي في باكستان، وسيد قطب في مصر، وهو المفكر الذي صاغ مفهوم الجهاد ضد النظم الحاكمة الإسلامية الكافرة أو العدو القريب ثم اتجهت لأسباب تكتيكية إلى الجهاد ضد العدو البعيد متمثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية ثم الغرب ويستخلص هذا الاتجاه أن الإرهاب هو في نهاية الأمر إيديولوجية منحرفة استخدمت الدين وقوته بشكل جاهلي ومنحرف.²⁴

4- إشكاليات ظاهرة الإرهاب عبر الدولي بين القبول والرفض:

يثير تطور ظاهرة الإرهاب عبر الدولي عددا من القضايا والإشكاليات المهمة التي يجب رصدها وتحليلها والبحث في أساليب التعامل معها، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

- من الصعب مناقشة قضية الإرهاب دون التطرق إلى تأثيراتها على علاقة الإسلام بالغرب، وباعتبار أن الشائع هو أن كل من قاموا بعمليات 11 سبتمبر 2001 وغيرها من العمليات الإرهابية عبر مختلف دول العالم وصولاً لهجمات باريس 2015 كانوا من المسلمين فقد نشأت علاقة سببية بين الإسلام والإرهاب، كما أن الكثير من المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وكتاباً ومثقفين يربطون بين الإسلام والإرهاب، ويعتبرون أن الإسلام بطبيعته دين يدعو إلى العنف ويحرض أتباعه على معاداة وكرهية الآخر. وقد رفضت التيارات الرئيسية في العالم الإسلامي ومؤسساته الدينية هذا الربط وركزت على الطبيعة المتسامحة للإسلام والداعية إلى التعايش بين البشر. واعتبرت أن الجماعات الإرهابية لا تمثل الإسلام وإنما تقدم رؤية مشوهة لتعاليمه ومن الأمور المشجعة أن ترى أصواتاً في العالم الغربي تتفهم هذه الرؤية وتحذر من تزايد الفجوة بين الغرب والعالم الإسلامي، وتدعو إلى تعميق الحوار بين الجانبين وإزالة المفاهيم والصور الخاطئة المتبادلة.

- من القضايا الكبرى التي يثيرها الإرهاب هي كيف يمكن محاربته في نفس الوقت الذي نحافظ فيه على قيم الديمقراطية والانفتاح والحرية، حيث يخشى البعض أن تستخدم مكافحة الإرهاب لتبرير تأخير الإصلاحات المطلوبة وتقييد المجتمع المدني ومنظّماته، وهناك قلق بالغ من أن تجعل الحملة ضد الإرهاب أولوية اهتمامات الدولة بالإرهاب تفوق قضايا حقوق

الإنسان، ففي البداية طالب قرار مجلس الأمن رقم (1456) الصادر في يناير 2003 الدول بأن تؤكد أن الإجراءات ضد الإرهاب تتفق مع التزاماتها تجاه حقوق الإنسان الدولية. وحقوق اللاجئين والقانون الدولي الإنساني، كما تم تحذير من طرف هيئة الأمم المتحدة للحكومات ضد استعمال التهديد الإرهابي لتبرير خرق حقوق الإنسان. واليوم تبحث في آليات دولية تقضي على التنظيمات الإرهابية على رأسها تنظيم داعش.

- يمكن أن يطرح تنامي وتطور التنظيمات الإرهابية وتوسع انتشارها بشكل يخل بالأمن الدولي حقيقة تحتاج فعلا بحث مقارنة شاملة نظرا لتعدد مبرراتها وخلفياتها من أجل تفعيل كل المقاربات سواء الاجتماعية والثقافية في إعادة النظر في أنماط التنشئة الصحيحة للفرد وصيانتها بعيدا عن كل المغالطات والفجوات التي قد تحيكتها بعض الوسائل الإعلامية من أجل بناء صور ذهنية ونمطية ضد الإسلام والمسلمين وإحياء رسالة الإسلام الحقيقية. وبين المقاربة السياسية والإستراتيجية بتكثيف الجهود العالمية من أجل إيجاد آليات مشتركة وتنسيقها فيما بينها بجدية من أجل الصالح العام، وبعيدا عن منطق مصلحة القوي تطغى على مصلحة الضعيف أي دون ازدواجية المعايير في رفض كل فعل إرهابي دون أي خلفيات غير بريئة، وبحث السبل السياسية في بناء نظم سياسية ديمقراطية تسعى لتجاوز وإدارة كل أزمات النظام السياسي كالتغلغل والتوزيع العادل للثروة وغيرها، وبين المقاربة الاقتصادية التي تجعل من المستوى المعيشي للأفراد ودرجة رضاه مبررا للبحث عن منافذ للسبل غير الشرعية أو أن يستغل كل محروم في الخروج عن ما هو مقبول.

- في الأخير يمكن أن نستنتج أن ظاهرة التنظيمات الإرهابية الجديدة بالرغم من مختلف تسمياتها وبغض النظر عن خلفياتها المقبولة والمبررة عند البعض باسم الخلفية الدينية الإسلامية ولاعتبارات جهادية، لكن تبقى ظاهرة مرفوضة في أغلب المجتمعات لما يمكن أن تثيره بالفعل الإرهابي من ظواهر اللأمن وإثارة مشاعر الخوف والتهديد لدى الجميع.

- 1- محمد الأمين البشري، الأمن العربي المقومات والمعوقات، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2000، ص 33.
- 2- حسنين المحمدي بوادي، المنظومة الأمنية في مواجهة الإرهاب: الأساليب الأمنية المستحدثة لمواجهة الإرهاب، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2007، ص ص(17-18).
- 3- المرجع نفسه، ص 18.
- 4- المرجع نفسه، ص 19.
- 5- يوسف حسن يوسف، الجريمة المنظمة الدولية والإرهاب الدولي، المركز القومي للإصدارات القانونية، 2010، ص ص 91-92.
- 6- أحمد حسين سويدان، الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2005، ص 45.
- 7- جلال زواد فخور، عولمة الإرهاب والحروب الإستباقية، عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2008، ص 48.
- 8- عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بية، الارهاب : التشخيص والحلول، الرياض: مكتبة العبيكان، 2007، ص ص 25-26.
- 9- سفيان ريموش "السياسة العامة للأمم المتحدة في مكافحة الارهاب "مجلة الحكمة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، 2011، ص ص 194-195.
- 10- المرجع نفسه، ص ص 21-22.
- 11- جون اسبوزيتو، تر: مصطفى حسين عبد الرزاق، الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2006، ص ص 41-42 .
- 12- عبد الغني عماد، صناعة الإرهاب: في البحث عن موطن العنف الحقيقي، ط2، بيروت: دار النفائس، 2005، ص ص 158-159.
- 13- القرآن الكريم، سورة الممتحنة، الآيتين (8-9).
- 14- عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 159.
- 15 - أسعد السحمراني، التطرف والمتطرفون، دار النفائس: بيروت، 1999، ص 95.
- 16 - القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 193.
- 17- سعيد ناشيد، ما وراء الإرهاب: الفلسفة وظاهرة الإرهاب العالمي، مارس 2006، ص 108.
- 18- أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص ص 79-80.
- 19- السيد أمين شلبي، "الإرهاب الدولي: المصادر والإشكاليات"مجلة السياسة الدولية، العدد 162، أكتوبر 2005، المجلد 40، ص ص 128 – 129.
- 20- سعيد ناشيد، مرجع سابق، ص 105.

- 21- أحمد أبو الوفا "ظاهرة الإرهاب الدولي"مجلة السياسة الدولية، العدد 161، يوليو 2005، المجلد 40، ص 162.
- 22- يوسف حسن يوسف، مرجع سابق، ص 94.
- 23- السيد أمين شلبي، مرجع سابق، ص 126.
- 24- المرجع نفسه، ص ص 126-127.